



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

الدراسات الاولى

المادة / جرائم حزب البعث البائد

المرحلة / الثانية

عنوان المحاضرة / الثقافة والاعلام وعسكرة المجتمع

المحاضرة التاسعة

اسم التدريسي

م.م سحر فتاح معروف

2025-2024

المبحث الرابع/ الثقافة والاعلام وعسكرة المجتمع

المحور الأول / عسكرة المؤسسة التعليمية.

بدأ البعث البائد فور نجاح إنقلابه في السابع عشر من تموز سنة (1968) بخطة شاملة لتبعث في كل مفاصل الحياة، فأخذ يملأ الوزارات والدوائر الحكومية بصور تجمع أحمد حسن البكر وصادم. فكانت الشعارات البعثية تأخذ طريقها للشوارع والجدران والبيوت فضلاً عن المهرجانات والفعاليات الثقافية التي تمجد النظام وقادته وقد كان للقصيدة والأغنية والأنشودة وحتى المسلسلات التلفزيونية الدور الكبير في اشاعة مفردات الحزب وتلقين طلبة المدارس وحثهم على التغني بشعارات الانقلابيين. في كل يوم دراسي قبل بدأ الدروس في المدرسة صباح كل يوم ثم بدأت عسكرة المجتمع بنشر الكتب الدراسية المنهجية وكان الطالب حين يفتح كتابه يرى في أول صفحة صورة رمزي النظام (البكر وصادم) التي اقتصرت لاحقاً على صورة (صادم) فقط.

إن اللون والصورة والانشودة وسائل اعتمدها البعثيون للتلاعب بالوعي المجتمعي فأين ما تلتفت ترى شعاراً أو صورة تخض السلطة؛ ولم يكتف البعثيون بهذا بل أخذوا يلقنون أطفال المدارس ويلوثون عقولهم بألفاظ مثل (الأب القائد) وكانت مخصصة للبكر، قبل أن تشيع فيما بعد عبارة (بابا صدام التي حفظها ورددها الأطفال في المدارس.

لقد كانت قصائد العنف والقصائد التي تتغنى بمنجزات البعث تملأ الكتب المدرسية، ومن هنا بدأت عسكرة المجتمع فطالب الابتدائية يحفظ ما يريده البعثيون إلزاماً ثم يتم إغراء التلاميذ الصغار بملابس عسكرية جديدة وزجهم بتنظيم ناشئ يسمى الطلائع وفي هذا التنظيم يتلقى التلاميذ جرعات مضاعفة من التشويه الثقافي والتشجيع على العنف، فقد علموا الطالب الصغير أن قبعة الرأس العسكرية (الكاسكيت) تمثل شرفه العسكري ويجب أن لا تقع وهكذا وهبوا قطعة أو خرقة قماش قداسة تسلب وعي الصغار الذين سيكبرون وهم مقتنعون بهذه البدعة.

حين يتحول الطالب الى الدراسة المتوسطة يكون قد ارتفع رتبة ليغادر مرحلة الطلائع ويدخل مرحلة الفتوة وهي مرحلة ما قبل المستقبل العسكري الحتمي ، وتستمر معه الأناشيد ويتم تشجيع الطلبة على نوع من استقلالية الرأي عن أهلهم لأن السلطة حريصة عليهم ، كما يروج البعثيون، وهكذا يستعد الطالب لاستخدام السلاح بدلاً من القلم ، بعد أن شاع شعار (للقلم والبندقية فوهة واحدة) وهو شعار تلويني سالب للعقل والتفكير ، وسرعان ما قام البعثيون بزج الطلبة في قواطع تدريب على السلاح وخفارات في الفرق الحزبية، وصار بيد الطلبة سلاح يجعلهم يتمردون على سلطة العائلة وأخلاقها.

تضافرت الروابط المتينة بين (البكر وصادم حسين) مع دهاء صدام وقسوته المطلقة في فتح الطريق أمام الأخير للصعود من موقع خامل الذكر نسبياً عام ١٩٦٦ إلى موقع الشخص الثاني في آلة الدولة في ثلاث سنوات فقط، وبعيدا عن روايات المؤسسة البعثية عن دور صدام في الانقلابات وكونه قياديا

ومخططا وما إلى ذلك ، تشير أغلب المصادر إلى أن صدام حسين ليس أكثر من قاطع طريق او فرد من أفراد العصابات و (الشقاوات) وقد استخدمه البعثيون للتصفيات الجسدية التي مارسوها ضد خصومهم، ويرى المراقبون لشخصية صدام تأثيرا واضحا لخاله خير الله طلفاح الذي كان متأثرا جدا بالنازية وميالا لطروحاتها.

ومما لاشك فيه أن الدكتاتور لا يمكنه أن يصنع نفسه بمفرده، فضلاً عن تبعيته والدعم الخارجي الذي تلقاه توجد عوامل أخرى مهمة شاركت في صنع شخصية صدام الدكتاتورية من نوعين من الممارسة السياسية الأولى تمثلت في اجادته عمليات التصفية السياسية للأفراد والجماعات الحزبية داخل تنظيمات الحزب وخارجها بتركيز السلطات كلها بيده، مستندا في الحكم على حلقات ضيقة جدا من الأقارب والأصدقاء المقربين الذين لا يملكون صفات علمية أو مهنية تؤهلهم لشغل مراكز قيادية في (الدولة العراقية والثانية، عسكرة الحياة) وقد بدأها عندما كان نائيا بقيادته للأجهزة الأمنية.

المحور الثاني: عسكرة الخطاب الاعلامي

ان استنساخ التجارب الدكتاتورية كاملة، بدا واضحا منذ الوهلة الأولى على سلوك انقلابي في السابع عشر من تموز (1968) ذلك لأنها التجربة النموذج لديهم لأن المؤسسة البعثية في العراق اتبعت الطرق التي استقطب بها الشعراء ومنها ان يكون الشعر سلاحا في المعركة المفترضة وقبل ذلك احتواء الأدباء وكسب مودتهم من خلال إطلاق سراح السجناء والسماح للمنفيين بالعودة للبلاد، وإغراء كبارهم.

ولأن القصيدة لم تعد قصيدة ولأنها ستعرض للعزلة وعدم القبول من الجمهور قامت المؤسسة الثقافية باستنفار جهودها للترويج لقصيدة السلطة على حساب غيرها وظهر التثقيف الأدب بعثي وظهر الناقد البعثي لتكتمل أدوات السلطة في تحقيق الثقافة الشمولية وهي ثقافة حزب البعث .

بدأت السلطة بالعمل على أدب وخطاب بعثي بعد مدة قصيرة من انقلاب ١٧ تموز، ففي البداية كان البعثيون بدون مثقفين تقريبا، يعانون من عزلة شعبية واسعة ... ولكي ينجحوا في مسعاهم ذاك تبنوا لغة اليسار...) . فأخذ الخطاب التقدمي بصيغته البعثية يتسيد المشهد الثقافي قبل السياسي ، وبعد أن تمت استمالة كبار الشعراء صار لزاما عليهم أن يردوا الدين ، بادئ ذي بدء ، ثم أن يلتزموا بالوظيفة الشعرية والواجب الشعري التوثيقي جزاء لما يناولون من عطاء ومكافآت .

وإذا كان الانقلاب هنا ايدلوجيا والمقصود به مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تتشكل اساساً لتفسير العالم وتوجيه العمل والسلوك سواء كان فردي او جماعي أو " وطنيا" ضمن مفهوم البعث البائد، فإن الانقلاب الذي يعيننا هنا هو الانقلاب (الشعري الفني) وصار الترويج لنظرية نقدية بعثية.

المحور الثالث: عسكرة الادب والفن

ظهر مصطلح (الناقد البعثي واحداً من ابتكارات المؤسسة البعثية ؛ فلقد سعوا جاهدين إلى تجديد او احياء ما يتوافق مع رؤيتهم السلطوية فقد نشر (عزمي محمد شفيق في جريدة الثورة)بتاريخ 1977/9/20 مقالا بعنوان: الحركة الشعرية والحاجة إلى منهج نقدي بعثي وقد يقال إن هو إلا مقال واحد أريد به التقرب للسلطة لكننا نتساءل كيف برسالة ماجستير في كلية الآداب سنة 1982 لطالب الماجستير (مصعب حسون الراوي) عنوانها: (ملامح المنهج البعثي في الأدب وقد صارت بعد ذلك سنة 1984 تحديدا كتابا صدر عن دائرة الشؤون الثقافية .

لقد اتخذت الثقافة البعثية مبدأ إقصاء أو إسكات الآخر فإنها نجحت لأنها ثقافة تقارير حزبية وتجسس فالناقد حين يمتدح شاعراً على وفق منهج مصعب حسون الراوي يكون قد منحه شهادة حسن سيرة وسلوك وشهادة ولاء للثورة والمبادئ وشهادة نضال ضد الامبريالية (أي السياسة التي تقوم على توسيع نطاق السيطرة على الدول او المناطق الأخرى سواء كان توسع اقتصادي او سياسي او استخدام القوة) وكلها شهادات سياسية علاقتها بالإبداع كعلاقة قضية فلسطين بالقادة العرب يرفعون تحريرها شعارا لبقاء سلطتهم.

كانت قضايا الثقافة تدار من قبل المكتب القومي للثقافة والإعلام الذي أسسه (صدام) في بداية السبعينيات وظل يشرف عليه ثم بدأت الأوامر تأخذ حيز التطبيق والترحيب والتصفيق بعد إدخالها إلى الماكينة الثقافية، لتخرج بأشكال مختلفة، من قصيدة إلى قصة ورواية ، ونشيد وأغنية ولوحة ؛ أو الثقافة بشكل عام فالوزارة في بداية سلطة البعث لم تكن وزارة ثقافة إنما وزارة إعلام والإعلام من بين مهامه إصدار المجلات الثقافية ، ويكون رئيس تحريرها عنصراً سلطوي الولاء وفعالاً في الوسط الثقافي ؛ هذا ما جرى تماماً.

فلا بد من وجود عدو مفترض من كل هذا التراث وانجازات قومية إعلامية. ولا أغرب من أن تعنى وزارة الإعلام بالمخطوطات والدراسات فماذا بقي للثقافة التي لم تنل الاهتمام ولم تكن بمنزلة الاعلام لدى السلطة. لأن العصر عصر اعلام والحرب حرب اعلام والثقافة عليها ان تكون إعلامية. والشاعر عليه ان يحيي المناسبات ويدعمها إعلامياً، فتتكئ المناسبات على شهرة الشاعر ويتكئ الشاعر على اعلام السلطة واهتمامها بالمناسبة هذه السلطة لم تكن عدوة للشعب في الأمس القريب. فيحقق انتشارا اوسع ، فضلا عما يحصل عليه من رعاية حكومية. ويتأقلم الشعراء مع السلطة الجديدة، وكأن هذه السلطة لم تكن عدوةً للشعب بالأمس القريب . ان التحكم في التعليم والثقافة والاعلام من اول الميادين التي حرص حزب البعث على توجيهها توجيهاً صحيحاً ودقيقاً وفق اتجاهات السلطة وأهدافها وتم فرض رقابة صارمة على الابداع الثقافي والفني ووظف المثقفون والمؤسسات الثقافية لنشر "ثقافة البعث" تمجد ذلك النظام وتوجيهاته .

وبالتأكيد في ظل نظام حزب البعث شهدت تسميات المستشفيات والشوارع لتعكس ايدولوجية السلطة الحاكمة وشخصياتها كانت هذه التسميات جزءاً من سياسة شاملة لتأصيل فكر البعث وتخليده ولم يكتف البعثيون باستعمار العقول والألسن وتوظيفها لخدمة سلطتهم وتعزيز وجودهم، بل أخذوا يلاحقون ذهن المواطن في مفاصل حياته كلها فالمستشفى الذي يراجعه المواطن يحمل اسم البعث أو

صدام، ومدينة الطب صار اسمها مدينة صدام الطبية ؛ حتى مطار بغداد الدولي صار بأمر المقبور (مطار صدام الدولي) ، وكذلك الجامعات وكلياتها وقاعاتها ، فضلا عن مستشفى (عدنان خير الله) وكذلك مستشفى(حماد شهاب العسكري)،(ومستشفى الجمهوري) وتسمية أغلب شوارع العراق وأحيائه بأسماء من مثل (البعث) (الثورة) (٧) نيسان ليتمكنوا من إغتصاب كل الحياة الاجتماعية بعد أن اغتصبوا اللغة والأدب والثقافة والإعلام. هذا وبعد سقوط النظام عام (2003) تم تغيير العديد من هذه الأسماء التي تمجد الرموز للنظام السابق لتجنب تذكير السكان بالماضي القمعي واعد تسمية بعضها بأسماء تاريخية او رموز دينية او أسماء محلية